

مَا لَا تَفْعَلُونَ} يعني: فهذه الطريقة ممقوتة عند الله، والممقوت: هو شدة البغض، أو أشد البغض، ولا شك أن الذي يعلم ويقول ويدعو إلى الخير ثم هو لا يعمل به في نفسه إنه ضالٌّ عن الصراط المستقيم {كَبْرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ}.

ثم ذكر - سبحانه وتعالى - مَنْ صَدَّقُوا أَقْوَاهُمْ بِأَفْعَالِهِمْ أَلَا وَهُمْ الْمُجَاهِدُونَ، فأعظم الناس تصديقًا بقوله وإيمانه هم المجاهدون، ولهذا قال - تعالى -: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} هؤلاء لا شك أنهم قالوا وفعلوا وصدقوا، يُقَاتِلُونَ في سبيل الله قتالًا بعزم صادق وثبات فهم في مواجهة العدو يكونون متراصين في وجه العدو، لا يستطيع أحد أن ينفذ من بين صفوفهم {صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} كل ثابت في موقعه لا يتركه ولا يترك فرصة للعدو أن ينفذ من قبله {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ} وفي هذا إشارة لهم بمحبة الله لهم فيا له من فوزٍ عظيم! من فاز بمحبة الله فاز بكل خير وسعادة، ففي هذا إثبات صفة المحبة لله، فالله يُحِبُّ وَيُحِبُّ، كما قال - تعالى - في المؤمنين المجاهدين: {يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ} [المائدة: ٥٤]

ثم ذكر - سبحانه وتعالى - شيئًا من خبر موسى مع قومه، وبنو إسرائيل آذوا موسى ببعض تصرفاتهم أقوالًا وأفعالًا، ولهذا أخبر الله بأن موسى يقول لهم: {لَمْ تُؤَدُّونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ} فهذا مناسب لما تقدم من إنكار مخالفة القول للفعل، فهم يؤمنون بأنه رسول ومع ذلك يُؤَدُّونَهُ {لَمْ تُؤَدُّونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ} فعلمهم وإيمانهم بأنه رسول يقتضي أن يُعْظِمُوهُ وَيُكْرِمُوهُ وَلَا يُؤَدُّونَهُ ولكنهم قد ناقضت أفعالهم أقوالهم. {لَمْ تُؤَدُّونِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَيُّ رَسُولِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ}.

{فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} ومن زيغهم - والعياذ بالله - عبادتهم للعجل، فهذا من أعظم زيغهم إلا وهو أن ألهوا العجل واتخذوه إلهًا، {فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ إِلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا} [طه: ٨٨، ٨٩] {إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ} [الاعراف: ١٥٢] والآيات في هذا كثيرة {ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ} [البقرة: ٥١، ٩٢] {فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} عقابًا على زيغهم، ومن عقوبة السيئة السيئة بعدها، كما أن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، وهذا من أشد العقاب، العقاب بزغ القلب وبالصراف عن الهدى، هذا أعظم من العقاب بالإهلاك وبالعقوبات المادية أو الجسدية أو النفسية، فأعظم العقاب العقاب بتقليب القلب، {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ} [الانعام: ١١٠] نسأل الله العافية، {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ}.

(تفسير السعدي)

القارئ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ، قَالَ الشَّيْخُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ السَّعْدِيُّ -رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى-:

تَفْسِيرُ سُورَةِ الصَّفِّ، وَهِيَ مَدَنِيَّةٌ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ {سَبَّحَ اللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ} الْآيَاتِ:

وَهَذَا بَيَانٌ لِعَظَمَتِهِ تَعَالَى وَقَهْرِهِ، وَذُلِّ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ لَهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- وَأَنَّ جَمِيعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ اللَّهِ وَيَعْبُدُونَهُ وَيَسْأَلُونَهُ حَوَائِجَهُمْ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الَّذِي فَهَرَ الْأَشْيَاءَ بِعِزَّتِهِ وَسُلْطَانِهِ، الْحَكِيمُ فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ} أَي: لِمَ تَقُولُونَ الْحَيْرَ وَتَحْتُونَ عَلَيْهِ، وَرَبَّمَا تَمَدَّحْتُمْ بِهِ وَأَنْتُمْ لَا تَفْعَلُونَهُ، وَتَنْهَوْنَ عَنِ الشَّرِّ وَرَبَّمَا نَزَّهْتُمْ أَنْفُسَكُمْ عَنْهُ، وَأَنْتُمْ مُتَلَوِّثُونَ مُتَّصِفُونَ بِهِ. فَهَلْ تَلِيقُ بِالْمُؤْمِنِينَ هَذِهِ الْحَالَةُ الدَّمِيمَةُ؟ أَمْ مِنْ أَكْبَرِ الْمَقْتِ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ مَا لَا يَفْعَلُ؟ وَهَذَا يَنْبَغِي لِلْأَمْرِ بِالْحَيْرِ أَنْ يَكُونَ أَوَّلَ النَّاسِ إِلَيْهِ مُبَادَرَةً، وَلِلنَّاهِي عَنِ الشَّرِّ أَنْ يَكُونَ أَبْعَدَ النَّاسِ عَنْهُ، قَالَ تَعَالَى: {أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} وَقَالَ شُعَيْبٌ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- لِقَوْمِهِ: {وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَأَكُمُ عَنْهُ} [هود: ٨٨]

قال الله -تعالى-: {إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ...} الْآيَةِ:

هَذَا حَتٌّ مِنَ اللَّهِ لِعِبَادِهِ عَلَى الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ وَتَعْلِيمٌ لَهُمْ كَيْفَ يَصْنَعُونَ، وَأَنْهَى يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَصُفُّوا فِي الْجِهَادِ صَفًّا مُتَرَاصًّا مُتَسَاوِيًّا مِنْ غَيْرِ خَلَلٍ يَحْصُلُ فِي الصُّفُوفِ، وَتَكُونُ صُفُوفُهُمْ عَلَى نِظَامٍ وَتَرْتِيبٍ بِهِ تَحْصُلُ الْمُسَاوَاةُ بَيْنَ الْمُجَاهِدِينَ وَالتَّعَاضُدُ وَإِرْهَابُ الْعَدُوِّ وَتَنْشِيطُ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، وَهَذَا كَانَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا حَضَرَ الْقِتَالَ صَفًّا أَصْحَابَهُ وَرَتَّبَهُمْ فِي مَوَاقِفِهِمْ، بِحَيْثُ لَا يَحْصُلُ اتِّكَالُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، بَلْ تَكُونُ كُلُّ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ مُهْتَمَّةً بِمَرْكَزِهَا وَقَائِمَةً بِوُضُوعِهَا، وَهَذِهِ الطَّرِيقَةُ تَتِمُّ الْأَعْمَالُ وَيَحْصُلُ الْكَمَالُ.

قال الله تعالى: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ...} الْآيَةِ:

أَي: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ} مُوجِّحًا لَهُمْ عَلَى صَنِيعِهِمْ، وَمُقَرِّعًا لَهُمْ

الشيخ: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى} يقول المفسرون: بمعنى: واذكُرْ، واذكُرْ حين قال موسى لقومه لم تؤذوني، وفي هذا إنكارٌ على بني إسرائيل وتنويهٌ بشأن موسى -عليه السلام- وتحذيرٌ للأمة أن تفعل كما فعلت بنو إسرائيل {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا}.

القارى: أي: {وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ {مُوجِبًا لَهُمْ عَلَىٰ صَنِيعِهِمْ، وَمُقَرِّعًا لَهُمْ عَلَىٰ أذْيَتِهِ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ: {لَمْ تُؤْذُونِي} بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ {وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ} وَالرَّسُولُ مِنْ حَقِّهِ الْاِكْرَامُ وَالْإِعْظَامُ، وَالْقِيَامُ بِأَوَامِرِهِ، وَالْإِبْتِدَارُ لِحُكْمِهِ.

وَأَمَّا أَذْيَةُ الرَّسُولِ الَّذِي إِحْسَانُهُ إِلَى الْخَلْقِ فَوْقَ كُلِّ إِحْسَانٍ بَعْدَ إِحْسَانِ اللَّهِ، فَفِي غَايَةِ الْوَقَاحَةِ وَالْجَرَاءَةِ وَالزَّيْغِ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، الَّذِي قَدْ عِلْمُوهُ وَتَرَكَوهُ، وَهَذَا قَالَ: {فَلَمَّا زَاغُوا} أَي: انصَرَفُوا عَنِ الْحَقِّ بِقُصْدِهِمْ {أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ} عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَىٰ زَيْغِهِمُ الَّذِي اخْتَارُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ وَرَضُوهُ لَهَا، وَلَمْ يُوقِفْهُمْ اللَّهُ لِلْهُدَى، وَلَا تَهْتَمُّ لَا يَلِيْقُ بِهِمُ الْخَيْرُ، وَلَا يَصْلُحُونَ إِلَّا لِلشَّرِّ، {وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ} أَي: الَّذِينَ لَمْ يَزَلِ الْفِسْقُ وَصَفًا لَهُمْ، لَيْسَ لَهُمْ قَصْدٌ فِي الْهُدَى، وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ تُفِيدُ أَنَّ إِضْلَالَ اللَّهِ لِعِبِيدِهِ لَيْسَ ظُلْمًا مِنْهُ، وَلَا حِجَّةَ لَهُمْ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ بِسَبَبِ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ الَّذِينَ أَغْلَقُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بَابَ الْهُدَى بَعْدَ مَا عَرَفُوهُ، فَيَجَازِبُهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ بِالْإِضْلَالِ وَالزَّيْغِ الَّذِي لَا حِيلَةَ لَهُمْ فِي دَفْعِهِ وَتَقْلِيْبِ الْقُلُوبِ عُقُوبَةً لَهُمْ وَعَدْلًا مِنْهُ بِهِمْ كَمَا قَالَ -تعالى-: {وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا

بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ} [الأنعام: ١١٠]

انتهى

الشيخ: بارك الله فيك

(نويبة ابن القيم)

القارئ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ. قَالَ الْإِمَامُ ابْنُ الْقَيِّمِ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى- فِي "الْكَافِيَةِ الشَّافِيَةِ فِي الْإِنْتِصَارِ لِلْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ"

الشيخ: الله أكبر، الله أكبر

القارئ:

وَأَجَلِهِ قُتِلَ ابْنُ نَصْرِ أَحْمَدُ ذَاكَ الْخِزَاعِيُّ الْعَظِيمُ الشَّانِ

الشيخ: "وَأَجَلِهِ": لِأَجْلِ التَّأْوِيلِ، ابْنُ الْقَيِّمِ يَسْتَعْرِضُ الْحَوَادِثَ الَّتِي جَرَتْ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَأَثَمَةَ الدِّينِ بِسَبَبِ التَّأْوِيلِ لِلشُّبُهَاتِ، فَمِنْ ذَلِكَ قَتْلُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ الْخِزَاعِيِّ، قَتَلَهُ الْمُعْتَصِمُ، قَالَ الْمُؤَرِّخُونَ: قَتَلَهُ بِيَدِهِ مِنْ أَجْلِ قَوْلِهِ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ وَأَنَّهُ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّ الْمُعْتَصِمَ تَبَعَ أَخَاهُ الْمَأْمُونُ فِي اعْتِنَاقِ هَذِهِ الْبِدْعَةِ التَّكْرَارِ وَالْمِحْنَةِ، وَمِحْنَةُ الْمُسْلِمِينَ بِهَا.

القارئ:

إِذْ قَالَ ذَا الْقُرْآنَ نَفْسُ كَلَامِهِ مَا ذَاكَ مَخْلُوقٌ مِنَ الْأَكْوَانِ

الشيخ: هَذَا هُوَ الْمَأْخُذُ عَلَيْهِ يَعْنِي قُتِلَ لِقَوْلِهِ: أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ، فَلَهُ أُسُوءَةٌ بِمَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأَئِمَّةِ، بِالْإِمَامِ أَحْمَدَ وَمَنْ تَبِعَهُ، فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ سَارُوا عَلَى إِثْرِ الْإِمَامِ أَحْمَدَ -رَحِمَهُ اللَّهُ-.

القارئ:

وَهُوَ الَّذِي جَرَّ ابْنَ سَيْنَا وَالْأُلَى قَالُوا مَقَالَتَهُ عَلَى الْكُفْرَانِ

الشيخ: وَهَذَا كَذَلِكَ ابْنُ سَيْنَا يُصَنِّفُ مِنَ الْفَلَسَفَةِ -فَلَسَفَةُ الْإِسْلَامِ- يَعْنِي الْفَلَسَفَةَ الَّتِي اعْتَنَقُوا فَلَسَفَةَ أَرِسْطُو وَأَشْيَاعِهِ مِنَ الْمُنْتَسِبِينَ لِلْإِسْلَامِ، يَقُولُ ابْنُ الْقَيِّمِ: إِنَّ التَّأْوِيلَ هُوَ الَّذِي جَرَّ، جَرَّ يَعْنِي جَرَّ، جَرَّ ابْنُ سَيْنَا وَشَيْعَتُهُ جَرَّاهُمْ عَلَى مَا قَالُوهُ وَزَعَمُوهُ مِنَ الْإِلْحَادِ، مَا قَالُوهُ فِي رَبِّ الْعَالَمِينَ وَفِي دِينِ الْإِسْلَامِ، نَعَمْ قُلْ وَهُوَ الَّذِي

القارئ:

وَهُوَ الَّذِي جَرَّ ابْنَ سَيْنَا وَالْأُلَى قَالُوا مَقَالَتَهُ عَلَى الْكُفْرَانِ

الشيخ: جَرَّاهُمْ عَلَى الْكُفْرِ بِمَا قَالُوهُ مِنَ الْإِلْحَادِ، هَذَا هُوَ الَّذِي جَرَّاهُمْ: التَّأْوِيلُ وَالشُّبُهَاتُ.

القارئ:

فتأولوا خلق السموات العلى وحدثها بحقيقة الإمكان

الشيخ: من أقوال الفلاسفة أن العالم قديم، وأن السموات هذه قديمة، لم تكن محدثة، وما جاء في النصوص من أنها محدثة، المراد بالإحداث والخلق كونها ممكنة، ففسروا الحدوث بالإمكان، هذا هو معنى هذا البيت، أعد البيت

القارئ:

فتأولوا خلق السموات العلى وحدثها بحقيقة الإمكان

الشيخ: لما قيل لهم: إن السموات حادثة ومخلوقة والخلق يمتنع معه القدم، لا يكون الشيء محدثاً وقديماً، أو مخلوقاً وقديماً؛ لأن الحدوث والقدم ضدان لا يجتمعان فقالوا: إن خلقها أو حدوثها هذا معناه الإمكان أنها ممكنة، والممكن قد يكون قديماً

القارئ:

وتأولوا علم الإله وقوله وصفاته بالسلب والبطلان

الشيخ: كذلك من أقوال أولئك الملاحدة من ابن سينا وشيعته ومن هو على طريقته ذهبوا إلى نفي الصفات بشبهات زعموها كقولهم بأن إثبات الصفات يستلزم التركيب في ذاته أن يكون مركباً وكل مركب مفتقر إلى جزئه.

القارئ:

وتأولوا البعث الذي جاء به رسل الإله لهذه الأبدان

الشيخ: كذلك البعث من أباطيلهم وكفرهم وإلحادهم إنكار البعث الجسماني، ويزعمون أن البعث روحاني، فهذه الأبدان التي فُيرت الأرض هذه لا تعود ولا تُبعث ولا تُخرج إنما البعث بعث الروحاني، الأرواح فقط هي التي يمكن أن تصير إلى نعيم أو عذاب معنوي لا حسي، فهم يُنكرون البعث الجنة والنار، ليس هناك جنة فيها أكل وشرب ولباس ونساء ونكاح، وليس هناك نارٌ مُحْرِقة فيها السلاسل والأغلال والحرق، فهم ينكرون حقائق ما جاء في النصوص، ما جاءت به الرسل من البعث والنشور والجنة والنار، أعد البيت

القارئ:

وتأولوا البعث الذي جاء به رسل الإله لهذه الأبدان

بفراقها لعناصرٍ قد رُكبت حتى تعود بسيطة الأركان

الشيخ: يعني هذا تأويلهم فراق الأرواح للعناصر، عناصر البدن وجزئياته، هذا هو البعث، ليس البعث أن أبدأهم تعود إليها الحياة وتنشق عنها الأرض وتخرج من القبور، **{يَوْمَ تَشَقُّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سَرَّاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ}** [ق:٤٤] فالبعث حقيقته هو بعث هذه الأجسام، تعود الحياة إليها، وعود الحياة إليها بعد فراقها ثم إخراجها من الأرض **{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}** [طه:٥٥]

القارئ:

وَهُوَ الَّذِي جَرَّ الْقَرَامِطَةَ الْأُلَى يَتَأَوَّلُونَ شَرَائِعَ الْإِيمَانِ

الشيخ: القرامطة هم من الملاحدة، قرامطة الشيعة أو قرامطة الباطنية أو الصوفية؛ لأن الباطنية نوعان: باطنية الشيعة الذين يقوم مذهبهم على الرفض والغلو في علي وأئمة البيت، وباطنية الصوفية كالاتحادية ورئيسهم ابن عربي الطائي، فهؤلاء يتأولون، يعني الفلاسفة ابن سينا وشيعته يتأولون النصوص الخبرية المتعلقة بصفات الله أو النصوص المتعلقة بالبعث، أمّا هؤلاء لا، يتأولون الشرائع والأمر والتواهي يفسرونها بمعان باطنة تخالف ما يعرفه المسلمون من...، يتأولون الصلاة والصيام والحج بتأويلات لا أصل لها لا في اللغة ولا في الشرع، يتأولون الصلاة بأنها معرفة أسرارهم، والصيام كتمان أسرارهم، والحج الحج إلى قبور شيوخهم وطواغيتهم، نعم أعد البيت

القارئ:

وَهُوَ الَّذِي جَرَّ الْقَرَامِطَةَ الْأُلَى يَتَأَوَّلُونَ شَرَائِعَ الْإِيمَانِ

فَتَأَوَّلُوا الْعَمَلِيَّ مِثْلَ تَأْوِيلِ الْعِلْمِيِّ عِنْدَكُمْ بِلا فُرْقَانِ

الشيخ: يعني تأولوا النصوص العملية الأمر والنواهي تأولها القرامطة الباطنية كما تأول المتكلمون والفلاسفة النصوص العلمية، النصوص العلمية هي النصوص الخبرية كالنصوص المتضمنة للخبر عن الله وصفاته أو المعاد، وكان هذا الخطاب كأنه خطاب للمتكلمين أو الفلاسفة؛ لأنهم هم الذين يتأولون النصوص الخبرية العلمية الاعتقادية، نعم فتأولوا

القارئ:

فَتَأَوَّلُوا الْعَمَلِيَّ مِثْلَ تَأْوِيلِ الْعِلْمِيِّ عِنْدَكُمْ بِلا فُرْقَانِ

وَهُوَ الَّذِي جَرَّ النَّصِيرَ وَحِزْبَهُ حَتَّى أَتَوْا بِعَسَاكِرِ الْكُفْرَانِ

الشيخ: النَّصِيرُ الطُّوسِي وزيرٌ هولانكو الذي غرأ ديارَ الإسلام وقتلَ المسلمين وقتَلَ الخليفةَ في الحادث العظيم وهو احتلالُ بغداد وقتلُ مَنْ فيها من العلماء والصالحين وقتَلَ الخليفةَ حتى بلغتْ مئاتِ الألوفِ أو كادتْ تبلغُ أُلوفَ الألوفِ

القارئ:

فَجَرَى عَلَى الإِسْلَامِ أَعْظَمَ مِحْنَةٍ وَخَمَارَهَا فِينَا إِلَى ذَا الإِنِّ

الشيخ: يعني آثارها باقيةٌ فينا، آثارُ هذه المِحْنَةِ باقيةٌ في المسلمين أوجبَتْ ضعفًا للمسلمين وفشو الفسادِ والشَّرِّ والإلحاد.

القارئ:

وَجَمِيعُ مَا فِي الكَوْنِ مِنْ بَدَعٍ وَأَحَدَاتٍ تُخَالِفُ مُوجِبَ القُرْآنِ

فَأَسَاسُهَا التَّأْوِيلُ ذُو البُطْلَانِ لَا تَأْوِيلُ أَهْلِ العِلْمِ والإِيمَانِ

الشيخ: هذا إجمالٌ بعدَ التَّفْصِيلِ، هذا إجمالٌ، بعدما ذَكَرَ تَأْوِيلَ الطَّوَائِفِ والفرقِ من الخوارج والرافضة والفلاسفة وغيرهم وغيرهم والمُتَكَلِّمِينَ والأشاعرة وغيرهم ذَكَرَ هذا البيتَ إجمالاً، وأنَّ جميعَ البِدَعِ الحادثةِ في الوجودِ مَنْشُؤُهَا التَّأْوِيلُ فهذا إجمالٌ بعدَ التَّفْصِيلِ، وجميع

القارئ:

وَجَمِيعُ مَا فِي الكَوْنِ مِنْ بَدَعٍ وَأَحَدَاتٍ تُخَالِفُ مُوجِبَ القُرْآنِ

فَأَسَاسُهَا التَّأْوِيلُ ذُو البُطْلَانِ لَا تَأْوِيلُ أَهْلِ العِلْمِ والإِيمَانِ

الشيخ: أهلُ العِلْمِ والإِيمَانِ تَأْوِيلُهُمُ لِلنُّصُوصِ هو تَفْسِيرُهَا بما تدلُّ عليه اللُّغَةُ وما تدلُّ عليه النُّصُوصُ الأخرى المفسِّرة المبيِّنة لها، فالتأويلُ عندهم هو التفسير، وأمَّا هؤلاء فالتأويلُ عندهم هو صرفُ اللَّفْظِ عن ظاهره إلى غيره بما يوافق أهواءهم وبدعهم وأصولهم الفاسدة، لا تأويلَ أهلِ العِلْمِ والإِيمَانِ، تقدَّم أنَّ التأويلَ له عدة معانٍ: التأويلُ بمعنى الحقيقة التي يُؤوَلُ إليها الأمر، والتأويلُ بمعنى التفسير وهو مرادٌ وهو اصطلاحُ المفسِّرين، والتأويلُ الذي هو صرفُ اللَّفْظِ عن الاحتمالِ الراجحِ إلى الاحتمالِ المرجوحِ، وتقدَّم أن هذا التأويلُ منه ما هو حقٌّ ومنه ما هو باطلٌ، فالحقُّ منه ما قام على الدليلِ، فَصَرَفُ اللَّفْظِ عن الاحتمالِ الراجحِ إلى احتمالِ المرجوحِ لدليلٍ يُوجبُ ذلكَ هذا تأويلٌ صحيحٌ، أمَّا صَرَفُ اللَّفْظِ عن الاحتمالِ الراجحِ إلى احتمالِ مرجوحٍ إلى خلافٍ ما يدلُّ عليه ظاهره لا لدليلٍ يوجبُ ذلكَ فهو التحريفُ في حقيقته، هو حقيقةُ التحريفِ.

القارئ:

إذ ذاك تفسيرُ المرادِ وكشفه وبيانُ معناه إلى الأذهانِ

الشيخ: هذا تأويل أهل العلم والإيمان، بيان المراد من الكلام، بيان مراد الله ومراد رسوله

القارئ:

قد كان أعلمُ خلقه بكلامه صَلَّى عليه اللهُ كلَّ أوانٍ

الشيخ: يعني أعلم الناس، أعلم الناس بكلام الله هو الرسول -صلى الله عليه وسلم- ولهذا قال -تعالى-:

{ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل: ٤٤] فهو أعلم

الناس، وهو المُكَلَّف ببيانِ كلامِ الله بقوله وبفعله، وقد بلغَ البلاغِ المبين، بلغَ كتابَ الله لفظاً ومعنى.

القارئ:

يتأوّل القرآنَ عندَ ركوعه وسجوده تأويلَ ذي برهانٍ

الشيخ: يشيرُ إلى ما جاء في حديثِ عائشة وأنه -صلى الله عليه وسلم- كان يكثرُ في ركوعه وسجوده أن

يقول: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ)، يتأوّل القرآن، يتأول قوله -تعالى-: { إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١)

وَرَأَيْتِ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا } [النصر: ١-٣] فمند

نزلت عليه هذه السورة صار يقول في ركوعه وسجوده: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) طَبَّقَ

قوله -تعالى-: { فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا }.

القارئ:

هذا الذي قالته أمُّ المؤمنِ بينَ حكايةٍ عنه لها بلسانِ

الشيخ: تقول: "يتأوّل القرآن"، وتأويل الشرائع، وتأويل الأمر هو فعل المأمور به، وتأويل الخبر هو نفس

المُخْبِر عنه، فصلاؤه -صلى الله عليه وسلم- للصَّلواتِ الخمسِ هو تأويلُ قوله -تعالى-: { وَأَقِيمُوا

الصَّلَاةَ } [البقرة: ٤٣] هو تطبيق، فالتأويلُ -تأويل الأمر والنواهي- هو الذي يُسمِّيه الناس الآن التطبيق.

القارئ:

فانظرُ إلى التَّأويلِ ما تعني به خَيْرُ النِّسَاءِ وَأَفْقَهُ النِّسْوَانِ

أَتَظُنُّهَا تَعْنِي بِهِ صَرَفًا عَنِ الْمَعْنَى الْقَوِيِّ غَيْرِ ذِي الرُّجْحَانِ

الشيخ: يعني أظنُّ قولها: "يتأوّل القرآن" التأويل الاصطلاحي الي [الذي] هو حقيقته صرفُ اللَّفْظِ عن

المعنى الظاهر القوي إلى خلافه؟ لا، إنما تريد العمل بما دلَّ عليه القرآنُ مِنَ التَّسْبِيحِ وَالِاسْتِغْفَارِ، أَتَظُنُّهَا

القارئ:

أَتَظُنُّهَا تَعْنِي بِهِ صَرَفًا عَنِ الْمَعْنَى الْقَوِيَّ لِغَيْرِ ذِي الرَّجْحَانِ
وَانظُرْ إِلَى التَّأْوِيلِ حِينَ يَقُولُ عِلْمُهُ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ

الشيخ: كأنه يشيرُ إلى قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- في ابن عباس: (اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل) وفي لفظ: (وعلمه الكتاب).

القارئ:

مَاذَا أَرَادَ بِهِ سِوَى تَفْسِيرِهِ وَظَهَرَ مَعْنَاهُ لَهُ بَيَانِ

قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ هُوَ التَّأْوِيلُ لَا تَأْوِيلُ جَهْمِيَّ أَخِي بَهْتَانِ

الشيخ: التأويل الحقُّ تأويل ابن عباس -رضي الله عنه- حَبْرُ هذه الأمة وتَرْجُمان القرآن هكذا يُعرَفُ عند أهل الإسلام، حَبْرُ الأمة وتَرْجُمان القرآن؛ لدعوة النبي -صلى الله عليه وسلم- له بذلك.

القارئ:

وَحَقِيقَةُ التَّأْوِيلِ مَعْنَاهُ الرَّجْوُ عِوَضًا إِلَى الْحَقِيقَةِ لَا إِلَى الْبَطْلَانِ

الشيخ: كما تقدّم أن التأويل يُطلَقُ إطلاقاً منها إطلاقان صحيحان ولُغويّان وهي التأويل بمعنى الحقيقة والتأويل بمعنى التفسير وبيان المراد من اللفظ.

القارئ:

وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الْمَنَامِ حَقِيقَةُ الْمَرْمِيَّ لَا التَّحْرِيفُ بِالْبُهْتَانِ

الشيخ: يشيرُ إلى تأويل الرؤى، تأويل الرؤيا قد يُرادُ به التفسير، وقد يرادُ به الحقيقة، فمثلاً رؤيا الملك فسرها يوسف { قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا... } إلى آخره [يوسف: ٤٧]، فسرها بهذا الكلام فلما وقعت جاءت تلك السنين كانت هذه السنين هي تأويل رؤيا الملك بمعنى الحقيقة، يعني تحققت في الواقع، فكلام يوسف كان تأويلاً بمعنى التفسير، ووقوعها بالفعل وإتيان تلك السنين من الحَصْبِ والجَدْبِ كان هذا هو التأويل، يعني لقائل أن يقول في تلك السنين: هذا تأويل رؤيا الملك، هذا تأويل رؤيا الملك، ورؤيا الفتية كذلك يوسف فسرها لهم بكلام { أَمَّا أَحَدُكُمْ فَسَيَكْفِي رَبُّهُ خَمْرًا } [يوسف: ٤١] يعني أنه ينجو ويخرج من السجن ويقوم بخدمة سيده يعصُرُ له خمرًا وأما الآخر فيصَلِّبُ فتأكل الطيرُ من رأسه، هذا التأويل بمعنى التفسير فلما تحقّق هذا الأمر نقول: هذا التأويل بمعنى الحقيقة، فنجاة أحدهما وخروجه من السجن هذا تأويل رؤياه بمعنى الحقيقة، وكذلك ذلك الرجلُ الآخر الفتى الآخر لما صُلِبَ وضربَ على رأسه وأكل الطيرُ

من رأسه كان هذا تأويل رؤياه بمعنى الحقيقة، فالرؤيا لها تأويلان: تأويل بمعنى التفسير، وتأويل بمعنى الحقيقة،
التأويل بمعنى التفسير هو كلام المعبر أو العابر للرؤيا، كلامه هو تأويلها بمعنى التفسير فإذا وقعت كان ما وقع
هو تأويلها بمعنى الحقيقة، نعم أعد البيتين

القارئ:

وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الْمَنَامِ حَقِيقَةٌ أَلَمْ
حَمْرِي لَا التَّحْرِيفُ بِالْبُهْتَانِ
وَكَذَلِكَ تَأْوِيلُ الَّذِي قَدْ أَخْبَرْتُ
رُسُلَ الْإِلَهِ بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ
نَفْسُ الْحَقِيقَةِ إِذْ تَشَاهَدُهَا لَدَى
يَوْمِ الْمَعَادِ بِرُؤْيَا وَعِيَانِ

الشيخ: هذا التأويل بمعنى الحقيقة، فتأويل ما أخبر الله به عن أحوال الآخرة هو ما يشاهده الناس يوم
القيامة كما نقول يعني مثل قوله تعالى: { إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (١) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ (٢) وَإِذَا الْبِحَارُ
فُجِّرَتْ } [الإنفطار: ١-٣]، { إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ } [الشمس: ١] هذا لها تأويل وهو ما يقوله المفسرون، تأويل
بمعنى التفسير، وتأويلها بمعنى الحقيقة هو ما يقع يوم القيامة وما يشاهده الناس، فانفطار السماء وتكوير
الشمس أو إثارة القبور وخروج الأموات منها هذا هو تأويل هذه الآيات، تأويلها، يقول تعالى: { هَلْ
يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ } [الأعراف: ٥٣]،
{ هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ } [يس: ٥٣]

القارئ:

لَا خُلْفَ بَيْنَ أُمَّةٍ التَّفْسِيرِ فِي
هَذَا وَذَلِكَ وَاضِحُ التَّبْيَانِ
هَذَا كَلَامُ اللَّهِ ثُمَّ رَسُولِهِ
وَأُمَّةُ التَّفْسِيرِ لِلْقُرْآنِ
تَأْوِيلُهُ هُوَ عِنْدَهُمْ تَفْسِيرُهُ
بِالظَّاهِرِ الْمَفْهُومِ لِلْأَذْهَانِ
مَا قَالَ مِنْهُمْ قَطُّ شَخْصٌ وَاحِدٌ
تَأْوِيلُهُ صَرَفٌ عَنِ الرَّجْحَانِ
كَأَنَّ وَلَا نَفْيُ الْحَقِيقَةِ لَا وَلَا
عَزْلُ النُّصُوصِ عَنِ الْيَقِينِ فَذَانِ
تَأْوِيلُ أَهْلِ الْبَاطِلِ الْمَرْدُودِ عِنْدَ
مَدِّ أُمَّةِ الْإِيمَانِ وَالْعِرْفَانِ
وَهُوَ الَّذِي لَا شَكَّ فِي بَطْلَانِهِ
وَاللَّهُ يَقْضِي فِيهِ بِالْبَطْلَانِ

الشيخ: يعني تأويل الفلاسفة المتكلمين والمبتدعين الذي هو صرف النصوص عن ظاهرها إلى غيره وإلى
خلاف ظاهرها لا حجة ولا دليل يوجب ذلك هو التأويل الباطل المذموم الذي يقضي له فيه بالبطلان،
فالله يُحِقُّ الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ.

القارئ:

فَجَعَلْتُمْ لِلْفِظِّ مَعْنَى غَيْرِ مَعْنَى نَاهُ لَدَيْهِمْ بِاصْطِلَاحِ ثَانٍ

وَحَمَلْتُمْ لَفْظَ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حَتَّى جَاءَكُمْ مِنْ ذَاكَ مَحْذُورَانِ

الشيخ: يعني حملتم النصوصَ وفسرتموها بخلاف ما يدلُّ عليه لفظها لغةً وما تقتضيه أصولُ الشريعة، نعم محذوران

القارئ:

وَحَمَلْتُمْ لَفْظَ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حَتَّى جَاءَكُمْ مِنْ ذَاكَ مَحْذُورَانِ

كَذِبٌ عَلَى الْأَلْفَاظِ مَعَ كَذِبٍ عَلَى مَنْ قَالَهَا كَذِبَانِ مَقْبُوحَانِ

الشيخ: يقول لزمكم بهذا التصرف وبهذا التأويل محذوران قبيحان: الكذب على دلالة الألفاظ، زعمتم أن الألفاظ تدلُّ على كذا، وزعمتم أن هذا هو مراد المتكلم، فكذبتم على الألفاظ وكذبتم على المتكلم، كذبتم في دعوكم أن الألفاظ تدلُّ على هذا المعنى وكذبتم على المتكلم بأن هذا هو مراده، أعد البيتين

القارئ:

وَحَمَلْتُمْ لَفْظَ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حَتَّى جَاءَكُمْ مِنْ ذَاكَ مَحْذُورَانِ

كَذِبٌ عَلَى الْأَلْفَاظِ مَعَ كَذِبٍ عَلَى مَنْ قَالَهَا كَذِبَانِ مَقْبُوحَانِ

وَتَلَاهُمَا أَمْرَانِ أَقْبَحُ مِنْهُمَا جَحْدُ الْهُدَى وَشَهَادَةُ الْبُهْتَانِ

إِذْ يَشْهَدُونَ الزُّورَ أَنْ مَرَادَهُ غَيْرُ الْحَقِيقَةِ وَهِيَ ذُو بَطْلَانِ

الشيخ: نعم، الكذب على الألفاظ والكذب على المتكلم يستلزم شهادتين باطلتين: شهادة على المتكلم بأن هذا مراده وهذه شهادة بالباطل، وكذب بالكاذب على...، فمن يكذب على أحد يشهد عليه بالباطل، وينسبُهُ إلى خلاف ما قاله وخلاف مراده.

القارئ: قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- تَعَالَى: فَصَلِّ

الشيخ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، نَعَمْ فَصَلِّ

طالب: أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ، يَوْجَدُ بَيْتَ سَاقِطٍ فِي...، سَقَطَ

الشيخ: سَقَطَ عِنْدَ حَسِينٍ

الطالب: لَا، عِنْدَنَا مَوْ [لَيْسَ] مَوْجُودٌ، فِي النِّسْخَةِ الْإِلِكْتْرُونِيَّةِ مَوْجُودٌ.

القارئ: أَيِّشْ هُوَ؟

الطالب:

لا خُلفَ بينَ أئمةِ التفسيرِ في هذا وذلكِ واضحُ البرهانِ
نفسُ الحقيقةِ إذْ تشاهدُها لدى يومِ المعادِ برؤيةٍ وبيانِ

الشيخ: سمعناه، قرأه حسين

القارئ: قال -رحمه الله تعالى-: فصلٌ فيما يلزمُ مُدَّعي التَّأويلِ لِتصحَّ دعواه.

الشيخ: هذا فصلٌ من توابعِ الفصلِ السَّابقِ، هذا مُتَّصِلٌ في مضمونه بالفصلِ السَّابقِ، متعلِّقٌ بالتَّأويلِ، ومضمونُ هذا الفصلِ: أنَّ صاحبَ التَّأويلِ الباطلِ يُطالبُ بأمرٍ لا يصحُّ تأويلُه إلا إذا حَقَّقها وسيدكرها النَّظامُ في الآياتِ الآتيةِ، يلزمُه أربعةُ أمورٍ لا يصحُّ تأويلُه ولا يستقيمُ إلا بعدَ تحقيقِ هذه الأمورِ الأربعةِ، يقولُ فيما يلزمُ المُؤوِّلَ من المطالبِ هي صحَّةُ تأويله، فيقالُ للمُتأوِّلِ: لا يصحُّ تأويلُك إلا إذا تحقَّقَ في تأويلك أربعةُ أمورٍ.

القارئ:

وعليكمُ في ذا وظائفُ أربعٌ واللهِ ليسَ لكمُ بهنَّ يدانِ

الشيخ: يعني يلزمُكم أربعةُ أمورٍ لا تستطيعونَ تحقيقها، "ليسَ لكمُ بذاكِ يدانِ" ليسَ لكمُ بذاكِ قوةٌ وقدرةٌ بل هذا يتعدَّدُ عليكم أن تحقِّقوا هذه الأمورَ في تأويلاتِكُم.

القارئ:

منها دليلٌ صارفٌ لللفظِ عن موضوعِهِ الأصليِّ بالبرهانِ

الشيخ: يعني أول ما نطالبُكم به أن تذكروا الدليلَ الموجِبَ للصرفِ، لصرفِ اللفظِ عن معناه، هذا هو المطلبُ الأولُ، فلا يصحُّ التَّأويلُ إلا إذا قامَ الدليلُ الموجِبُ للصرفِ اللفظِ عن مدلوله، نعم هذا هو الأمرُ الأولُ.

القارئ:

إذْ مُدَّعي نفسِ الحقيقةِ مُدَّعٍ للأصلِ لمْ يَحتجْ إلى بُرْهانِ

الشيخ: المدَّعي لحملِ اللفظِ على الحقيقةِ هذا لا يحتاجُ إلى دليلٍ؛ لأنَّه مُتَمَسِّكٌ بالأصلِ، فالأصلُ حملُ اللفظِ على المعنى الحقيقيِّ، على الحقيقةِ، أما من يدعي أنه مجازٌ فعليهِ الدليلُ.

القارئ:

فإذا استقامَ لكمُ دليلُ الصَّرفِ يا هيهاتَ طُولبْتُمُ بأمرٍ ثانٍ

الشيخ: يقول إذا أقمتم الدليل وضح لكم الدليل الصارف وهيهات أن يتحقق لكم ذلك فإتكم مطالبون بأمر آخر أيضاً

القارئ:

وهو احتمال اللفظ للمعنى الذي قُلْتُمْ هُوَ الْمَقْصُودُ بِالتَّبْيَانِ

الشيخ: هذا الثاني هو أن يكون اللفظ مُحْتَمَلًا، يعني لا بد أن تثبتوا أن اللفظ مُحْتَمَلٌ للمعنى الذي حملتموه عليه، فدعوى أن اللفظ مُحْتَمَلٌ هذه تحتاج إلى برهان، إلى إثبات، فالمطلب الأول أن تذكروا الدليل الصارف، والمطلب الثاني أن تثبتوا احتمال اللفظ لذلك المعنى الذي زعمتموه، أن يكون اللفظ مُحْتَمَلًا.

القارئ:

فَإِذَا أُتِيْتُمْ ذَاكَ طُوْلِبْتُمْ بِأَمْرٍ ثَالِثٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا الثَّانِ

الشيخ: مطلبٌ ثالث، مطالبة ثالثة

القارئ:

إِذْ قُلْتُمْ إِنَّ الْمُرَادَ كَذَا فَمَاذَا دَلَّكُمْ أَنْتَحْرُصُ الْكُفَّانِ

الشيخ: المطلب الثالث أن تقيموا أيضاً الدليل على أن هذا مراد المتكلم، أن هذا هو مراده، أن هذا المعنى الذي فسرتُم به اللفظ أنه هو مراد المتكلم من بين سائر المعاني، فاللفظ قد يحتمل عدة معاني، فحكمكم بأن هذا هو مراد المتكلم هذا زعمٌ وتحرُّصٌ، كتحرُّصِ الكُفَّانِ، نعم أعد البيتين

القارئ:

فَإِذَا أُتِيْتُمْ ذَاكَ طُوْلِبْتُمْ بِأَمْرٍ ثَالِثٍ مِنْ بَعْدِ هَذَا الثَّانِ

إِذْ قُلْتُمْ إِنَّ الْمُرَادَ كَذَا فَمَاذَا دَلَّكُمْ أَنْتَحْرُصُ الْكُفَّانِ

الشيخ: "قولكم المراد" يعني مراد المتكلم، فأين الدليل على أن هذا مراد المتكلم؟ كما تقدم أن هذا شهادة على المتكلم وكذبٌ عليه، فدعواكم أن هذا هو مراد المتكلم هذا من نوع التحرُّصِ.

القارئ:

هَبْ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الْمَوْضُوعَ لَ كِنِ قَدْ يَكُونُ الْقَصْدُ مَعْنَى ثَانِ

الشيخ: يعني المتكلم نفرض "هَبْ" بمعنى: افرض وقدر، قدزنا أن المتكلم لم يُرد الحقيقة والمعنى الذي وُضِعَ له اللفظ لكن قد يريد معنى آخر غير الذي زعمتم فدعواكم أنه أراد هذا المعنى بعينه هذا تحرُّصٌ ودعوى تفتقر إلى الدليل، أعد البيت هب

القارئ:

هَبْ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الْمَوْضُوعَ لَ كِن كِن

الشيخ: الموضوع هو الحقيقة، المعنى الذي وُضِعَ له اللفظ هو الموضوع، "هَبْ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الْمَوْضُوعَ"

القارئ:

هَبْ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الْمَوْضُوعَ لَ كِن قَدْ يَكُونُ الْقَصْدُ مَعْنَى ثَانٍ

الشيخ: قد يكونُ القصدُ معنًى آخر غير الذي عَيَّنْتُمُوهُ

القارئ:

غَيْرِ الَّذِي عَيَّنْتُمُوهُ وَقَدْ يَكُونُ الْلفْظُ مَقْصُودًا بَدُونِ مَعَانٍ

الشيخ: يقول: قد يكون اللفظ لم يُقصد به معنًى من المعاني، كما يزعم أهل التفويض يزعمون أن الله خاطب عباده بما لا معنى له، فابن القيم يقول: إنَّ المتكلم قد يريد معنًى غير المعنى الذي عَيَّنْتُمُوهُ أو أنه لم يقصد معنى أصلاً، يعني تكلم بما لا معنى له كما يدعي من يدعي منهم ذلك، نعم أعد بيتين

القارئ:

هَبْ أَنَّهُ لَمْ يَقْصِدِ الْمَوْضُوعَ لَ كِن قَدْ يَكُونُ الْقَصْدُ مَعْنَى ثَانٍ

غَيْرِ الَّذِي عَيَّنْتُمُوهُ وَقَدْ يَكُونُ

لِتَعْبُدِ وَتِلَاوَةٍ وَيَكُونُ ذَا كَ الْقَصْدُ أَنْفَعُ وَهُوَ ذُو إِمْكَانٍ

الشيخ: يعني قد يكون المتكلم...، يعني الله -تعالى- قد يكونُ أراد بذلك اللفظ التعبُّدَ به وتلاوته وما إلى ذلك، قد لا يكونُ أراد منه معنًى، فزعمكم أن الله أراد هذا المعنى هذا يَرِدُ عليه أن دعوى أن الله أراد هذا المعنى وقد يكونُ أراد معنًى آخر، وقد يكونُ مرادُه اللفظ فقط ولا يريد منه معنًى إنما أراد التعبُّدَ بهذا اللفظ.

القارئ:

مِنْ قَصْدِ تَحْرِيفِ لَهَا يُسَمَّى بِنَاءٍ وَيِلِّ مَعَ الْإِتْعَابِ لِلْأَذْهَانِ

الشيخ: نعم أعد البيت

القارئ:

مِنْ قَصْدِ تَحْرِيفِ لَهَا يُسَمَّى بِنَاءٍ وَيِلِّ مَعَ الْإِتْعَابِ لِلْأَذْهَانِ

الشيخ: كأنه يريد أنه قد يكونُ مرادُ المتكلم يعني امتحانُ السامع والمخاطب، امتحانُ السامع والمخاطب بأن يحمل هذا اللفظ على غير ظاهره؛ ابتلاءً وامتحاناً لذهنه حتى يجتهد في صرفه عن ظاهره، قد يكون لم

يُرَدُّ مِنْهُ مَعْنَى بَلٍ أَرَادَ إِمَّا التَّعْبُدَ بِتَلَاوَتِهِ أَوْ امْتِحَانَ لِلْعُقُولِ لِتَحْمِلِهِ عَلَى مَعَانٍ أُخْرَى، وَهَذَا كُلُّهُ يَقُولُونَ بِهِ مِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَاطَبَ عِبَادَهُ بِمَا لَا مَعْنَى لَهُ، وَبَعْضُهُمْ قَالَ خَاطَبَهُمْ بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي الْمُرَادُ مِنْهَا خِلَافٌ ظَاهِرٌ؛ لِيَجْتَهِدَ الْعِبَادُ فِي صَرْفِهَا عَنْ ظَاهِرِهَا وَأَنَّ اللَّهَ خَاطَبَهُمْ بِهَذِهِ الْأَلْفَاظِ الَّتِي يَرِيدُ مِنْهَا خِلَافَ ظَاهِرِهَا ابْتِلَاءً وَامْتِحَانًا لِعُقُولِهِمْ؛ لِيَصْرِفُوهَا عَنْ ظَاهِرِهَا.

القارئ:

وَاللَّهُ مَا الْقَصْدَانِ فِي حَدِّ سَوَا فِي حِكْمَةِ الْمُتَكَلِّمِ الْمَنَّانِ

الشيخ: يعني قَصْدُ، يعني الخطاب بألفاظ لا معنى لها لمجرد التَّعْبُدِ هذا لا يليق بالحكيم أن يخاطب بما لا معنى له فالحكيم لا يتكلم بما لا معنى له، ولا يخاطب من يريد إفادته بما لا يدل على شيء، فهذا قَصْدٌ يُنَزَّه عنه الحكيم، وكذلك القصد إلى امتحان العقلاء لحمل الألفاظ على خلاف ظاهرها، كذلك هذا لا يليق بالحكيم الذي يريد الإفادة ويريد البيان.

القارئ:

بَلْ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ تُبْطَلُ قَصْدٌ مَدَّةُ التَّحْرِيفِ حَاشَا حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ

الشيخ: نعم، الله حكيم من أن يقصد من كلامه أن العباد يُحَرِّفُونَ كَلَامَهُ وَيَصْرِفُونَهُ عَنْ ظَاهِرِهِ، وَأَنْ يَبْتَلِيَهُمْ بِذَلِكَ

القارئ:

وَكَذَاكَ تُبْطَلُ قَصْدُهُ إِزْهَالُهَا مِنْ غَيْرِ مَعْنَى وَاضِحِ التَّبَيُّانِ

الشيخ: نعم، الله حكيم، أحكم من أن يخاطب عباده بما لا معنى له، أو يخاطبهم بما يريد منهم صرفه عن ظاهره وتحريفه، فهذا كله ينافي حكمة الرب تعالى.

القارئ:

وَهُمَا طَرِيقًا فَرِيقَتَيْنِ كِلَاهُمَا عَنْ مَقْصِدِ الْقُرْآنِ مُنْحَرَفَانِ

الشيخ: هاتان طريقتان لطافتين:

الأول: طريقة أهل التفويض الذين يزعمون أن هذه النصوص لا معنى لها ولا يُراد منا فهمها، ويزعمون أن الله خاطب عباده بما لا يفهمه أحد أو بما لا معنى له، أو بما لا يفهم منه شيء.

وطريقة أهل التأويل وهي الطريقة الأخرى الذين قالوا: إن الله أنزل هذه الألفاظ يريد منا أن نجتهد في صرفها عن ظاهرها.

هاتان طريقتان، الأول: طريقة أهل التفويض، والثاني: طريقة أهل التأويل والتحريف، نعم البيتين أعد القارئ:

بَلْ حِكْمَةُ الرَّحْمَنِ تُبْطَلُ قَصْدٌ مَدَّهُ التَّحْرِيفَ حَاشَا حِكْمَةَ الرَّحْمَنِ
وَكَذَاكَ تُبْطَلُ قَصْدُهُ إِنزَالُهَا مِنْ غَيْرِ مَعْنَى وَاضِحِ التَّبْيَانِ
وَهُمَا طَرِيقًا فَرِيقَتَيْنِ كِلَاهُمَا عَنِ مَقْصِدِ الْقُرْآنِ مُنْحَرَفَانِ
قَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: فَصَلِّ

الشيخ: إلى هنا، بارك الله بك، الظاهر أننا ننتهي إلى هذا الفصل في هذه الدورة، السبت ما في [لا يوجد] شيء، عُلِّم؟

القارئ: عُلِّم أحسن الله إليك

الشيخ: نسمع شرح الشيخ محمد الهراس -رحمه الله-

القارئ: قَالَ الشَّارِحُ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-:

وَمِنْ أَجْلِ التَّأْوِيلِ أَيْضًا قَبِلَ الشَّيْخُ أَحْمَدُ بْنُ نَصْرِ الخُرَاعِي -رَحِمَهُ اللَّهُ- زَمَانَ المِخْنَةِ حِينَ ثَبَتَ مَعَ الإِمَامِ أَحْمَدَ فِي القَوْلِ بَأَنَّ هَذَا القُرْآنَ المَثَلُو المَسْمُوعَ هُوَ نَفْسُ كَلَامِهِ -تَعَالَى- لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ مِنْ جَمَلَةِ المَكُونَاتِ

الشيخ: المَكُونَاتِ

القارئ: مِنْ جَمَلَةِ المَكُونَاتِ.

وقَالَ -رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى-: وَالتَّأْوِيلُ كَذَلِكَ هُوَ الَّذِي جَرَّأَ أَبُو عَلِيٍّ ابْنَ سِينَا الفِيلَسُوفَ، وَمَنْ لَفَّ لَفَّهُ عَلَى القَوْلِ بِقَدَمِ العَالِمِ بِالزَّمَانِ، لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ لِعِلَّةٍ قَدِيمَةٍ، وَالعِلَّةُ التَّامَّةُ يَجِبُ أَنْ يِقَارَنَهَا مَعْلُومًا وَلَا يَتَأَخَّرُ عَنْهَا، وَتَأَوَّلُوا خَلَقَ اللَّهُ للعَالَمِ وَحدوثه عنه بِأَنَّهُ مَفْتَقَرٌ إِلَيْهِ لِإِمْكَانِهِ افْتِقَارَ المَعْلُومِ إِلَى عِلَّتِهِ، وَلَيْسَ مَعْنَى الخَلْقِ أَوْ الحَدُوثِ أَنَّ اللَّهَ أوجدَهُ مِنَ العَدَمِ، وَالقَوْلُ بِقَدَمِ العَالَمِ كَانَتْ إِحْدَى المَسَائِلِ الَّتِي كَفَّرَ بِهَا الغَزَالِيُّ الفلاسفةَ فِي كِتَابِهِ "التَّهَافُتِ".

وكذلك تَأَوَّلُوا عِلْمَ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَجَمِيعَ صِفَاتِهِ بِمَعَانٍ سَلْبِيَّةٍ تَحَاشِيًا مِنَ القَوْلِ بِالتَّرْكِيبِ.

يقول ابن سينا في كتابه "النَّجَاة": فَإِذَا حَقَّقْتَ تَكُونَ الصِّفَةِ الأُولَى لِوَجِبِ الوجودِ أَنَّهُ أَنْ وَوجودٌ، ثُمَّ الصِّفَاتُ الأُخْرَى يَكُونُ بَعْضُهَا المَتَعَيَّنِّ فِيهِ هَذَا الوجودُ مَعَ إِضَافَةٍ، وَبَعْضُهَا هَذَا الوجودُ مَعَ السَّلْبِ، وَلَيْسَ وَلَا وَاحِدٌ مِنْهَا مَوْجِبًا فِي ذَاتِهِ كَثْرَةَ البَتَّةِ وَلَا مَغَايِرَةً.

وكذلك تأوّلوا البعث الجسماي الذي جاءت به الرّسل -عليهم الصلاة والسلام- والذي هو خروج الموتى من قبورهم أحياءً بأنّه فراق الروح لعالم العناصر الذي هو عالم الكون والفساد ورجوعها إلى عالمها الأول، حين كانت تعيش في عالم البسائط والمجرّدات التي لا يعترتها تحلّل ولا فساداً، ولا يجوز أن يكون الضمير في قوله: "بفراقها" عائداً على الأبدان، لأنّ الأبدان من عالم العناصر، فكيف تفارقه؟ اللهم إلا إذا أُريد بهذا أنّها تتحلّل فيعود كلُّ عنصرٍ منها إلى حاله قبل التركيب، ولكن إطلاق اسم البعث على هذا المعنى بعيدٌ، فالظاهر أنّ المراد بالبعث هنا مفارقة الروح لعالم العناصر.

وكذلك جرّاً التأويل القرامطة أتباع حمدان قرمط، وهم من غلاة الشيعة

الشيخ: حمدان قرمط

القارى: وكذلك جرّاً التأويل القرامطة أتباع حمدان قرمط، وهم من غلاة الشيعة على أن يتأوّلوا شرائع الإيمان العمليّة، كما تأوّلوا شرائعها العلميّة بلا فارق بينهما، فتأوّلوا الصلاة والصيام والحجّ والزكاة والجهاد وغيرها بمعانٍ اصطلاحاً عليها تُناسب مذاهبهم الخبيثة، وفسّروا آيات الكتاب برموز وإشارات وقالوا: أنّ لها ظاهراً وباطناً؛ ولهذا سُموا باطنيّة.

والتأويل كذلك هو الذي جرّاً نصير الدّين الطوسي الخبيث شارح الإشارات لابن سينا، والمخصّل للرازي على أن يكيد للإسلام وأهله. فيقال أنّه هو الذي كتب إلى هولاء ليغزوا بجيوشه الباغية بلاد الإسلام، ويُفوّض أركان الخلافة الإسلاميّة، وقد جرى للمسلمين على أيدي هؤلاء التتار من المحن والبلايا ما بقيت آثاره إلى أيام الشيخ ابن القيم -رحمه الله-.

وقال -رحمه الله تعالى-: يعني أنّ جميع ما أحدث في الدّين من بدع مخالفة لمقتضى الكتاب والسنة الصحيحة فلا سبب له إلا التأويل الباطل الذي هو في الحقيقة تحريف للكلم عن مواضعه وعُدول بالألفاظ عن معانيها المتبادرة منها بغير موجبٍ لذلك الصّرف إلا محاولة تصحيح ما جنح إليه القوم من الأهواء الضالّة التي أخذوها مما عند اليهود والنصارى وفلاسفة اليونان والصائبة وغيرهم.

وأما تأويل أهل العلم والإيمان فهو تأويل صحيح؛ لأنّ المراد به كشف المعنى وتفسيره وبيان المراد منه وحقيقته نفس ما يؤوّل إليه الشيء، فإن كان اللفظ خيراً

الشيخ: خبراً خيراً

القارى: فإن كان اللفظ خيراً فتأويله هو نفس المُخبر عنه وذلك مثل آيات الصفات والوعد والوعيد وأحوال أهل الجنة وأهل النار، فتأويلها هو نفس حقيقة ما أخبر الله عنه فيها، ومنه قوله -تعالى-:

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا رَبَّنَا بِالْحَقِّ فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ} [الأعراف: ٥٣] ومعناه ما ينتظر هؤلاء المكذَّبون بيوم البعث والجزاء إلا تأويله أي: وقوع ما أخبر عنه القرآن من ذلك، ومنه أيضًا قول القرآن حكايةً عن الصِّدِّيقِ يوسُفَ -عليه الصلاة والسلام-: {وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا} [يوسف: ١٠٠] فقد أراد بتأويل الرؤيا وقوع مضمونها المفسر لها فيما جرى بينه وبين إخوته وما تقلب فيه من محن وأرزاء حتى بلغ ما بلغه من استخلاص الملك آيَّاهُ وجعله على خزائن الأرض، ومنه قول الصديقة بنت الصديق -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "كان يُكثر أن يقول في ركوعه وسجوده: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي) يتأول القرآن"، تعني: أنه كان يُنفذ ما أمر به في القرآن، بقوله -تعالى-: {فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ} [النصر: ٣] لأنَّ اللَّفْظَ إِنْ كَانَ طَلَبًا فَتَأْوِيلُهُ هُوَ نَفْسُ الْمَأْمُورِ بِهِ أَوْ الْمَنْهِي عَنْهُ.

فهل يُظنُّ أنَّ عائشة -رضي الله عنها- كانت تعني بقولها "يتأول القرآن"، ذلك المعنى الفاسد للتأويل الذي اصطلح عليه أهل الكلام وهو: صرف اللفظ عن المعنى الراجح المتبادر منه إلى المعنى المرجوح بلا صارفٍ.

وقال -رحمه الله تعالى-: وتأمل كذلك قوله -صلى الله عليه وسلم- لابن عمِّه عبد الله بن عباسٍ -رضي الله عنهما-: (اللَّهُمَّ فَفِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمَهُ التَّأْوِيلَ) فهل أراد به إلا أن يرزقه الله الفهم لتفسير كتابه وبيان معناه، وقد استجاب الله دعوة نبيه -عليه السلام- لابن عمِّه فكان يُسمَّى "تُرْجُمان القرآن". فما أثر عن ابن عباسٍ من تفسير القرآن وكشف عن معناه هو الذي يصحُّ أن يُسمَّى تأويلاً لا تأويلات هؤلاء الجهمة المبطلين، وذلك لأنَّ حقيقة التأويل كما قدَّمنا هي الرجوع إلى حقيقة المعنى الذي يدلُّ عليه اللفظ ويقضيه عند الإطلاق لا إلى معنى باطل لا يدلُّ عليه إلا باحتمالٍ مرجوحٍ فتأويل المنام مثلاً وقوع نفس ما رآه النَّائم في حال اليقظة مطابقاً للرؤية.

وتأويل ما أخبرت به الرسل -عليهم الصلاة والسلام- من أسماء الله وصفاته واليوم الآخر وما فيه ونعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار الخ، هو نفس الحقائق المخبر عنها كما سبق بحيث تشهد بها يوم القيامة مطابقة للخبر عنها ولا خلاف بين أئمة التفسير في أن هذا المعنى للتأويل هو الذي يدلُّ عليه قوله -تعالى-: {هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ} الآية [الأعراف: ٥٣] أي: ما ينتظرون إلا حصول ما أنذروا به من العذاب ووقوعه.

وقال - رحمه الله تعالى -: فهذا كلامُ اللهِ وقرآنُهُ لم يَجِئْ فِيهِ التَّأْوِيلُ فِي جَمِيعِ اسْتِعْمَالَاتِهِ إِلَّا بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ وَبَيَانِ الْمَعْنَى أَوْ وَقُوعِ الْمَخْبَرِ عَنْهُ، وَهَذَا كَلَامُ رَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي دَعَائِهِ لِابْنِ عَمِّهِ بِتَعْلِيمِ التَّأْوِيلِ

الشيخ: "بتعلم" أو "تعليم"؟

القارئ: وهذا كلامُ رسولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فِي دَعَائِهِ لِابْنِ عَمِّهِ بِتَعْلِيمِ التَّأْوِيلِ

الشيخ: عندكم كلكم "تعلّم" وإلا "تعليم" التأويل؟ (وَعَلَّمَهُ التَّأْوِيلَ)

القارئ: لَمْ يَرِدْ إِلَّا هَذَا الْمَعْنَى كَذَلِكَ، وَهَؤُلَاءِ أئِمَّةُ التَّفْسِيرِ مِنَ السَّلَفِ الَّذِينَ هُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِمَعَانِي كِتَابِ اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - مُطَبِقُونَ عَلَى أَنَّهُ لَا مَعْنَى لِلتَّأْوِيلِ إِلَّا كَشَفُ الْمَعْنَى وَتَفْسِيرُهُ، مَا قَالَ أَحَدٌ مِنْهُمْ قَطُّ بِمِثْلِ مَقَالَتِكُمْ الْمَحْدَثَةِ الَّتِي لَا أَسْلَ لَهَا وَلَا فَسَّرَ التَّأْوِيلَ بِمَا فَسَّرْتُمُوهُ بِهِ مِنْ أَنَّهُ صَرَفُ اللَّفْظِ عَنْ مَعْنَاهُ الرَّاجِحِ الَّذِي هُوَ حَقِيقَةٌ فِيهِ وَحَمْلُهُ عَلَى مَعْنَى مَرْجُوحٍ بِطَرِيقِ الْجَمَازِ وَلَا ادَّعَى أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنَّ نِصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ لَا تُفِيدُ الْيَقِينَ، لِأَنَّ اللَّفْظَ يَحْتَمِلُ الْحَقِيقَةَ وَالْجَمَازَ وَالْعُمُومَ وَالْخُصُوصَ الْخَافِيَّ، وَلَكِنَّكُمْ أَنْتُمْ الَّذِينَ اجْتَرَأْتُمْ عَلَى التَّلَاعِبِ بِالنِّصُوصِ فَحَرَفْتُمُوهَا عَنْ مَوَاضِعِهَا، وَنَفَيْتُمْ حَقَائِقَهَا وَعَزَلْتُمُوهَا عَمَّا جَاءَتْ لَهَا مِنْ إِفَادَةِ الْعِلْمِ وَالْيَقِينِ وَحَمَلْتُمُوهَا عَلَى مَا شَاءَ لَكُمْ الْهَوَى مِنْ مَعَانٍ مُوَافِقَةٍ لِمَذَاهِبِكُمُ الْبَاطِلَةِ، فَهَذِهِ هِيَ تَأْوِيلَاتُكُمْ الَّتِي لَا يَعْرِفُهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ وَالْإِيمَانِ، بَلْ يُنْكِرُونَهَا أَشَدَّ النُّكْرَانِ وَهِيَ فِي حَكْمِ اللَّهِ مَقْضِيٌّ عَلَيْهَا كَذَلِكَ بِالْبَطْلَانِ.

وقال - رحمه الله تعالى -: وَيُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَأْوِلِينَ

الشيخ: فصل قل فصل، ما هو هذا هو؟

القارئ: لا، باقي أحسن الله إليك.

ويُقَالُ لِهَؤُلَاءِ الْمُتَأْوِلِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ، فَجَعَلُوا لِلْأَلْفَاظِ مَعَانٍ أُخْرَى بِاصْطِلَاحِهِمُ الْفَاسِدِ غَيْرِ الْمَعَانِي الْمَفْهُومَةِ مِنْهَا، وَاسْتَكْرَهُوا أَلْفَاظَ الْكِتَابِ فِي حَمْلِهَا عَلَى هَذِهِ الْمَعَانِي الْبَعِيدَةِ، يُقَالُ لَهُمْ: يَلْزِمُكُمْ فِي صَنِيعِكُمْ هَذَا أَمْرَانِ مَحْذُورَانِ:

أحدهما: الكذبُ على الألفاظِ حيثُ حملتموها من المعاني ما لا تحتملُ وصرفتُموها قسراً واعتسافاً إلى هذه المعاني التي لا تخطرُ لأحدٍ ممن يفهمُ معاني هذه الألفاظِ عندَ إطلاقِها.

والثاني: هو الكذبُ على مَنْ قالها حيثُ زعمتمُ أنَّ مرادَهُ منها كذا وكذا كذباً وزوراً، بل يلزمكم في صَنِيعِكُمْ هَذَا أَمْرَانِ آخِرَانِ هُمَا أَقْبَحُ مِنْ ذَيْنِكَ الْمَذْكُورَيْنِ، أَحَدُهُمَا: جَحْدُكُمْ الْهُدَى الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ

هذه الألفاظ حيث نفيتم معانيها الحقّة التي أراد الله أن تكون بياناً وهدياً. والثاني: شهادتكم الزور والبُهتان، إذ تشهدون على الله -عزّ وجلّ- أن مراده من هذه الألفاظ كذا وكذا، وأنه لم يُردّ منها حقائقها، وأن تلك الحقائق لا يمكن أن تكون مُراداً لله من هذه الألفاظ لما يترتب عليها في زعمكم من مُحالاتٍ، فأبى شهادة زورٍ أشنع من هذه التي شهدتموها على ربكم أيها الجاهلون.

وقال -رحمه الله تعالى-: فصل: ويلزّمكم لتصحيح ما ادّعيتموه من التأويل أربع أمورٍ ليس لكم والله قدرة على واحدٍ منها:

الأول: أن تأتوا بدليلٍ صارفٍ لللفظ عن معناه الأصلي، فإنّ اللفظ لا يجوزُ صرفُهُ عن معناه الموضوع له إلا لدليلٍ يدلُّ على استحالة ذلك المعنى، وما تدّعونهُ من قرائنٍ عقليةٍ مُوجبةٍ لذلك لا يُسلمها لكم خصومكم، وأمّا نحنُ فلا نحتاجُ إلى مثل ذلك الدليل؛ لأننا ندّعي أن اللفظ مستعملٌ في حقيقته التي هي الأصل فيه، فإذا ظفرتُم بالدليل الصّارف لللفظ عن معناه، وهيهات طوّلتُم بإثبات أن اللفظ مُحمّلٌ لذلك المعنى الذي ادّعيتم أنه المقصود من اللفظ، ثم عليكم بعد هذا أن تثبتوا بالدليل أن المعنى الذي عيّنتُموه حين قلتم أن المراد كذا هو المقصود للمتكلّم، فهذه أمورٌ ثلاثة تلزم مدّعي التأويل فلا تستقيم له دعواه إلا إذا أثبت كل واحدٍ منها بالدليل، وما له إلى ذلك من سبيل.

ثم ينضمُّ إليها أمرٌ رابعٌ سيذكرهُ المصنّف فيما سيأتي، وهو الجواب عن المعارض فإنّ الدّعوى لا تتم إلا بذلك، والمعارض هنا هو جميع أدلّة الإثبات في الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين وأدلة العقل والفطرة، ممّا لا سبيل إلى معارضته بما يشغّب به القوم من ترهاتٍ وأباطيل.

وقال -رحمه الله تعالى-: فلو قدّر أن المتكلّم لم يقصد المعنى الحقيقي الموضوع له اللفظ لم يمكن إثبات أنه أراد به المعنى الذي عيّنتُموه، لجواز أن يكون له قصدٌ آخر، أو أن يكون اللفظ مجرداً عن المعنى قد قصد من إنزاله التعبّد بتلاوته، وهذا -مع كونه جائزاً- أنفع وأقرب إلى الحكمة من قصد معنى بعيدٍ لا يدلُّ عليه اللفظ، فإنّ ذلك تحريفٌ لللفظ عن معناه مع ما في ذلك من كدّ الأذهان وإتعاها في استخراج ذلك المعنى البعيد. فإذا وازناً هذا القصد الثاني بالأول الذي هو إنزال اللفظ للتعبّد لم نجدُهما سواءً في حكمة المتكلّم المَنَّان -جلّ شأنه- بل وجدنا الأول أقرب إلى الحكمة وأدنى إلى النفع من الآخر، بل الحكمة الإلهية في سموها وكماها تُبطل أن يكون قصده -جلّ شأنه- التحريف للألفاظ باستعمالها في غير معانيها، كما هو زعمُ المؤوِّلة، وكذلك تُبطل أن يكون قصده منها معنى غير مفهوم من اللفظ، ولا يمكن للعباد إدراكه كما هو زعمُ المفوّضة. فهذان الطريقتان للمؤوِّلة والمفوّضة كلاهما

مُنْحَرِفٌ عَمَّا قَصَدَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْ اسْتِعْمَالِ الْأَلْفَاظِ فِي مَعَانِيهَا الْمَوْضُوعَةِ لَهَا فِي اللُّغَةِ الَّتِي نَزَلَ
بِهَا، فَلَا تَفْوِيضَ وَلَا تَأْوِيلَ.

انتهى

الشيخ: جزاه الله خيراً، وجزاكم الله خيراً، بارك الله فيك، فلا تفويض ولا تأويل، نعم يا محمد

الطالب: في بعض الأسئلة

الأسئلة:

السؤال ١: ابن جرير الطبري - رحمه الله - هل هو يستخدم في تفسيره النوعان الأولان من التأويل أم يستخدم التأويل الاصطلاحي؟

الجواب: لا لا لا لا، يستعمل التأويل بمعنى التفسير، دائماً يقول: "القول في تأويل قوله تعالى"، يعني: في تفسير قوله، "ومثل ما قلنا قال أهل التأويل"، يعني: أهل التفسير، هذا هو ما يقصده المفسرون، إذا قالوا: "تأويل هذه الآية كذا وكذا" يريدون تفسيرها ببيان المراد من معنى التركيب أو اللفظ.

السؤال ٢: لماذا الفلاسفة يستخدمون مصطلح "واجب الوجود"؟

الجواب: هذا الاصطلاح لا تقول، لا تقول: "لماذا تصطلح يا فلان على كذا"، هذا اصطلاح لهم، عندهم "واجب الوجود" هو من صدر عنه هذا العالم يكون واجب الوجود، وأما هذا العالم فهو ممكن وليس بواجب، في مقابل الواجب: الممكن، فالعالم ممكن، ومن صدر عنه العالم ويسمونه العلة التامة هذا واجب الوجود، فواجب الوجود هو الذي لا يقبل الحدوث ولا العدم، واجب الوجود هو ما لا يقبل الحدوث ولا العدم، وهذا مختص بالله -تعالى- هو القديم الذي لا بداية لوجوده، وكلمة "واجب الوجود" يعني هذا حكم من أحكام العقل، فالأشياء في حكم العقل إما جائز أو واجب أو مستحيل، فأحكام العقل ثلاثة: إما واجب الوجود، أو الإمكان، أو الامتناع، فتقول: هذا ممتنع، هذا واجب، هذا ممكن.

السؤال ٣: يوم القيامة هل يُعذر من أخطأ من أجل تأويله كالمعتزلة مثلاً؟

الجواب: الله أعلم، يحكم فيهم بحكمه العدل، الله -تعالى- حكيم، يعلم سرائرهم، من أراد الحق وصدق في ذلك واجتهد في طلبه وفعل ما يقدر عليه فالله كريم، ولكن الشقاء يكون لازماً لمن أعرض عن حجاج الله وأتبع هواه، فالمعتزلة منهم من يكون مجتهداً في طلب الحق ومنهم من يكون متعصباً متبعاً للهوى، منهم ومنهم.

السؤال ٤: هل يجوز تسمية الله بغير ما سمي به نفسه، كقول: "واجب الوجود"، ويُراد به الله، و"العلّة التامة"؟

الجواب: لا يجوز أن يُسمى الله بغير ما سُمِّيَ به نفسه، لكن يمكن أن يُقال: يجوز أن يُخبر عنه بكذا، فمن القواعد أن باب الخبر أوسع من باب التسمية، فمن ذلك أن تقول الله موجود، وهل من أسماء الله موجود؟ لكن هو موجود، أكمل وجود، لكن ليس من أسمائه "موجود"، فلا تقول: "يا موجود"، وكذلك "القديم"، المُتَكَلِّمُونَ يُسَمُّونَ اللَّهَ: "قديم"، أو "القديم"، وليس هذا من أسمائه، لكن يصح أن نخبر ونقول: "الله قديم"، حقاً أنه قديم، لكن ليس من أسمائه، فليس كل ما يُخبر به عن الله يصحُّ اعتباره اسماً.

السؤال ٥: في مسألة إثبات العلوِّ بحديث ابن رواحة، ما الفائدة من إيراد بعض الأحاديث التي يكون فيها خللٌ، مثل حديث ابن رواحة، وفي المسألة أحاديث أخرى، بل آيات تثبت هذا؟

الجواب: جرّت عادة أهل العلم أنهم يحشدون الأدلّة والأحاديث الصحيحة أو الضعيفة أو الحسنّة أو الآثار المعاضدة فهذا من باب حشد كلِّ ما جاء في الباب، فمن النصوص ما يُذكر للاعتماد، ومن الآثار والأحاديث ما يُذكر للاعتضاد والاستشهاد.

السؤال ٦: طالب العلم هل يجب عليه قراءة المتون المختصرة على العلماء فقط، أم عليه أن يقرأ المطوّلات أيضاً؟

الجواب: يقرأ ما له فيه فائدة من مختصرات أو مطوّلات، ويستشير من يريد القراءة عليه، يستشير ويستأذنه فيما يقرأ عليه.

السؤال ٧: هل دعوة عوامّ النَّصارى للإسلام خاصٌّ بالعلماء فقط، أم يجوز للمسلم إذا كان عنده شيء من العلم بالعقيدة الصحيحة وشيء من كيفية الرّدّ على عقيدة النصارى أن يدعوهم؟

الجواب: يدعو يدعو، كلُّ يدعو، {فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ} [التغابن: ١٦] من استطاع الدّعوة فإنه يقوم بما يستطيع بذلك، وربما كان بعض الناس أقدر على الدّعوة من بعض من هو أعلم منه لجودة عقله وجودة تعبيره؛ لأنّ المناظرات تعتمد على منزلة العقل والمقدرة العقلية والمقدرة البيانية، فقد يكون الإنسان عالماً لكنّه قاصر في باب البيان والحجّة واستحضار الحجج.

السؤال ٨: أنا في بلاد الغرب وأعرف أصدقاءً أجانب وأريد أن أدعوهم للإسلام، لكن لا أعرف من أين أبدأ، فأرشدوني.

الجواب: ابدأ بأن تقول: من الذي خلقت؟ من هو أحق بالعبادة؟ يعني هذا الصليب الذي أنت تعبده خشبة، هذا يستحق العبادة؟ هذا ليس بمعقول، هذا لا ينفعك ولا يضرُّك، ولا له شيء من المعاني التي تقتضي تعظيمه، أنعظَّم جمادًا وحجرًا وخشبة؟ أم الأحقُّ بعبادتك وتعظيمك الذي خلقت وخلق كل شيء؟! شيء!

السؤال ٩: هل يجوز للحائض الجلوس في سطح الحرم؟

الجواب: لا، سطح الحرم من الحرم، سطح الحرم من الحرم، من المسجد، سطح المسجد من المسجد.

السؤال ١٠: كنت لبراليًا والتزمت، وأنا أداوم من الساعة العاشرة مساءً حتى السادسة صباحًا كطبيب طوارئ، هل أقضي الليل أسمع الدروس أم أصلي؟ ولكن قد يقطع صلاتي حضور المرضى.

الجواب: افعل ما تيسر لك من التلاوة والصلاة، وإذا قطعت الصلاة لطارئ من الطوارئ فلا يضرُّك؛ لأنك تصلي نافلة، والضرورات لها أحكامها، ولا تُطل الصلاة التي تضطرك إلى قطعها، النافلة ممكن أن تصلي من الليل ما شئت، لكن تصلي صلاة خفيفة بحيث يعني تفرغ من صلاتك بسرعة ولا تضطر إلى القطع.

القارئ: ويقول أحسن الله إليك: وإذا لم أصل هل أقضي القيام في الصباح؟

الجواب: إذا لم يتيسر لك القيام في الليل فلك أن تصلي الضحى مثل ما كنت تصلي في الليل بعده، "كان رسول الله إذا فاتته وزدته من الليل صلى في النهار اثنتي عشرة ركعة"، لأنه كان يصلي إحدى عشرة ركعة، فإذا فاتته وزدته من الليل صلى من الضحى اثنتي عشرة ركعة.

السؤال ١١: هل يصح هذا الدعاء: "اللهم إني لست أهلاً أن تناله رحمتك، ولكن رحمتك أهل أن تنالني؟"

الجواب: ليس هذا...، هذا دعاء بدعي، هذا مبتدع، كلام...، إذا لم تكن أهلاً لرحمة الله فإن الله لا يرحمك؛ لأن الله يضع رحمته في من يكون أهلاً لرحمته، وهذا -والعياد بالله- سوء ظنٍّ بنفسك إلى هذه

الدرجة! لا، قل: "اللهم اجعلني أهلاً لرحمتك"، قل: "اللهم اجعلني أهلاً لرحمتك"، هكذا، لا تقل: "اللهم إني لست أهلاً لرحمتك"، قل: "اللهم اجعلني أهلاً لرحمتك وارحمي".

السؤال ١٢: هل "المَنَّان" من أسماء الله -تعالى-؟

الجواب: نعم.

السؤال ١٣: هل يجوز الدعاء باسم الله "القيوم" دون اسم "الحي" أو العكس، أم لا بد من اقترانهما؟

الجواب: ما الذي يملك على التفريق بين ما جمع الله بينه؟ ما الذي يجعلك تقول: "الحي"، "الحي" بس [فقط]، قل: "الحي القيوم"، قل: "اللهم أنت الحي القيوم"، أو "يا حي يا قيوم"، فالله قرن بينهما، فما قرّن الله بينه، أنت اجمع بينه ولا تُفَرِّق، قرّن بين الحي والقيوم كما قرّن بين العزيز والحكيم وأسماء أخرى، والرحمن الرحيم.

السؤال ١٤: تقول السائلة: شعرت حواجبي رقيقة فأقوم برسمها بما يُعرف بالمكياج الدائم وهو عبارة عن إبرة نحيفة جداً تعمل على عمل جرح نحيف جداً في أول طبقة بالجلد، وهناك حالات لا يخرج منها دم إطلاقاً، وهناك حالات قد تخرج منها نقطة دم قليلة جداً تكاد لا تُذكر ويتم الحقن بعدها بمادة عضوية مصنوعة من أعشاب فترسم الحواجب وقد تظل من ستة أشهر إلى سنة، فما حكم ذلك؟

الجواب: المقصود لا تفعل النَّمص، ولا تشبهي بالنَّامصات، لا تفعل النَّمص في حواجبك، ولا تفعل ما يجعلك كالنَّامصات، فلا يجوز فعل المنكر ولا التشبه بمن يفعل المنكر، هذا ما يمكن أقوله في سؤالك هذا الذي لا أتصوره تصوّراً تاماً، لكن هذا هو القاعدة، القاعدة أن المسلمة منهيّة عن النَّمص وكذلك منهيّة عن التشبه بالنَّامصات.

السؤال ١٥: هل يجب عليّ العدل في تعليم بناتي؛ لأنّ الكُبرى درّستها في مدرسة خاصّة والأخرى في مدرسة حكوميّة، وهذا بسبب الظروف المعيشيّة؟

الجواب: لا حرج عليك، يكفي أنك قلت: "بسبب الظروف المعيشية"، إذاً هذا الفرق الذي صار بين بنتيك بسبب ظروف غير اختيارية لم تقصد التفريق بينهما وتفضيل إحداها على الأخرى، بل الأولى قد

تيسر لك أن تُعلمها تعليمًا خاصًا، والأخرى لم يتيسر فالحمد لله، { لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا } [البقرة: ٢٨٦]

السؤال ١٦: وردت عدّة أحاديث في تفضيل العبادات، فأفضل الأعمال: الصلاة لوقتها، وفي حديث آخر: (ذِكْرُ اللَّهِ)، ولابن القيم كلام يذكر فيه أن الأفضل عبادة الوقت، فما الراجح في ذلك؟
الجواب: الراجح في ذلك ما قال ابن القيم: أن تفعل في كل وقت ما يقتضيه أمر الله ورسوله، فأفضل الأعمال قال فيها الرسول -عليه الصلاة والسلام-: (الصَّلَاةُ عَلَى وَفْتِهَا) هذا هو أفضل الأعمال على الإطلاق، قلت: ثم أي؟ قال: (بِرِّ الْوَالِدَيْنِ) قلت: ثم أي؟ قال: (الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) ويختلف الأفضلية باختلاف الأوقات واختلاف الأشخاص، فبعض الناس الأفضل له طلب العلم، وبعض الناس الأفضل في حقه الجهاد في سبيل الله إذا تهيأت أسبابه وهكذا، فالمفاضلة بين الأعمال تختلف باختلاف ما دلّت عليه النصوص واختلاف أحوال العاملين واختلاف الأوقات.

السؤال ١٧: ما القول الفصل في "المعيّة" عند أهل السنة؟

الجواب: المعية نوعان: معية عامة التي مقتضاها العلم والسمع والبصر، فالله مع عباده بعلمه وسمعه وبصره وهذه معية عامة لجميع الخلق، ومعية خاصة مقتضاها التأيد والنصر والحفظ { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ } [النحل: ١٢٨]، { إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى } [طه: ٤٦] معيته لأوليائه، { إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ } [البقرة: ١٥٣] { مَعَ الْمُتَّقِينَ } [التوبة: ٣٦]

السؤال ١٨: يقول العلماء: "يجوزُ الدُّعاءُ على الظالمِ على قَدْرِ مَظْلَمَتِهِ"، ما المراد بقولهم: "على قدرِ مَظْلَمَتِهِ"؟

الجواب: يعني الظلم يتفاوت بحسب..، فمن كان ظلمه أكثر استحق من البغض والعقوبة بحسب ظلمه، ومن كان ظلمه دون ذلك استحق من العقوبة بقدر ظلمه، فإنَّ الجزاء مبني على العدل: { وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا } [الأنعام: ١٥٢] فلا تُسوّي بين الظالم والأظلم، لا تُسوّي بين الظالم والأظلم لا في الحب ولا في المعاملة ولا في العقوبة.

السؤال ١٩: ما حكم قول "بِذِمَّتِكَ" و "في ذِمَّتِكَ"؟

الجواب: كأنه التزام، "في ذمّتي" ما هو قَسَم، ليس هذا بقَسَم، هذا التزامٌ ونوعٌ عهدٍ، الذمّة عهدٌ، في ذمّتي يعني: "عهدًا عليّ أن أفعل كذا"، وإلا هذا في ذمّتك يعني: أنت مطالبٌ به وعهدٌ عليك أن تفعل كذا وكذا، والله أعلم.

طالب: والباء؟ "بِذمّتي"؟ والباء "بِذمّتي"؟

الشيخ: بِذمّتي هذا محتملٌ كأن يقصد القَسَم ما يجوز.

الطالب: يعني على حسب نيّته وحسبِ

الشيخ: نعم نعم